ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟ عن أطروحة "أبراهام غايغر"

فئة : مقالات



30 يونيو 2018

بقلم **معاذ بني عامر**

قسم: **الدراسات الدينية**

وفقاً لكتاب اليهودية والإسلام[1] لـ "أبراهام غايغر"، فإنّ النصّ القرآني في مجمله اقتباسات عن الديانة اليهود
الألمانية حملت عنوان Was hat Mohammed aus dem judenthume aufgenommen ماذا أخذ محمد عن اليهودية

فـ "مهمتنا -على ما يقول غايغر- هي أن نثبت أنه كم كانت مرتبطة روح محمد، نضاله وأهدافه، مع عقل زمانه ود
كنا حرمنا من جميع البراهين التي تظهر على نحو لا يمكن إنكاره أن اليهودية مصدرٌ للقرآن، فإن التخمين بأن استع
احتمالية عظيمة".[2]

ولتجلية هذه المهمة يسأل "غايغر" بداية أطروحته مجموعة من الأسئلة العلمية، لكي يُحكم الأطر البحثية التي
الأسئلة؟:

هل كان محمد يرغب في الاستعارة من اليهودية؟

هل كان يمكن لمحمد أن يستعير من اليهودية؟

وإذا كان الأمر كذلك، كيف كانت هذه الاستعارة ممكنة بالنسبة إليه؟

وهل كان متوافقا مع خطته أن يستعير من اليهودية؟

وفي سياق إجابته عن هذه الأسئلة وغيرها، سيكون النص القرآني هو المرجع الرئيس الذي يعتمد عليه "أبراهام غ
القرآني أو بالأحرى تلك النماذج التي اعتقد بمصدريتها اليهودية، وقارنها بمثيلتها في النصّوص اليهودية، أو بالأحرى

وقبل أن يشرع "غايغر" في سرد الاستعارات التي اقتبسها النبي محمد عن اليهودية وضمنّها قرآنه، وفقاً للأطروح
الحضارة التي تواجد بها النبي محمد وتأثره بهم. فـ "على الرغم من أنه لا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن ننسب ل
حياته، وكذلك في الكتابات التي تركها وراءه كشرائع للأجيال القادمة، هناك آثار من الكراهية لليهود واليهودية
أحرزها اليهود في شبه الجزيرة العربية، من جهة، كانت مهمة بما يكفيه لأن ينتمي أن يجعل منهم أتباعاً له، وم
أنهم كانوا جهلة، فقد كانوا متقدمين على غيرهم من الهيئات الدينية الأخرى في تلك المعرفة التي أعلن محم
الواقع أن يؤكد كل علومه. علاوة على ذلك، فقد سبّب اليهود له الكثير من المتاعب بتعليقاتهم البارعة والمثيرة لل
نشأت بالتأكيد في داخله".[3]

وفي المجمل، ستنعكس علاقة النبي محمد باليهود ونصوصهم -حبا أو كرها أو إعجابا أو رفضاً- على ما جاء به في
به [سيتم تفصيل ذلك] وحينا سيرفضه وحينا سيعارضه.

ففي المقطع الأول من الفصل الأول وتحت عنوان: (مفاهيم مستعارة من اليهودية) يُورد غايغر 14 كلمة يتبين من وليس عربية، وهي على التوالي:

1- تابوت. 2- التوراة أو الشريعة. 3- جنة عندن أو الجنة. 4- جهنم أو الجحيم. 5- أحبار. 6- دَرَس. 7- رباني. 8- الس ماعون. 13- مثاني. 14- ملكوت.

وللتأكيد على الأصل اليهودي لهاتِهِ الكلمات القرآنية يستحضر "غايغر" أصولها، وسأكتفي هنا بإيراد مثالين من سياق

1- "تابوت، النهاية وتدليل مؤكد إلى حد ما على أن الكلمة ليست من أصل عربي، بل من أصل عبري حاخامي؛ لأن هذه أخرى هذه النهاية، وهو أمر شائع جداً أيضا في الكلدانية والسريانية، حيث يمكن لي أن أغامر بالتأكيد أنه لا توجد كلمتنا في مقطعين مختلفتين بمعنيين مختلفين: أولا، حيث يقال لأم موسى أن تضع ابنها في تابوت، والمعنى ا العهد كان يسمى أيضاً بهذا الاسم..."[4]

2- "جهنم أو الجحيم. هذه الكلمة أيضاً، مثل الجنة المقابلة لها، من أصل يهودي. ووفقاً للمفهوم الأساسي وا الرغم من أنه موقع أقل أهمية بكثير من ذلك الذي أعطى اسمه للجنة. لم يكن وادي هنّوم أكثر من بقعة مخصد الوثنية أوصل إلى استخدام اسمها لتعيين الجحيم. ولا يحتاج إلى دليل أن هذه هي التسمية الاعتيادية لها في التل في العهد الجديد. الآن، يمكن التأكيد أن محمداً حصل على هذه الكلمة من المسيحيين؛ ولكن لو وضعنا جانباً البر يهودية، تظلّ الاحتمالات لصالح أصل يهودي لكلمة الجحيم أيضاً، فشكل الكلمة يتحدث عن اشتقاقها من اليهودية بملء النَفَس aspirate، التي هي هيه he، التي يعبّر عنها في اليونانية، إنما تظهر من جديد في اللغة العربية، لأ يشار إليها دائماً من قبل علماء النحو في الكتابة، إلا أنها تبدو مسموعة الصوت في الكلام على الدوام. وهذا يـ السريانية. فالحرف ميم الذي نجده في نهاية الكلمة العربية (جهنم)، كونه غير موجود في الكلمة السريانية، إنه والكلمة موجودة في العديد من المواضع في القرآن"[5]

وبالمحصلة يقول "غايغر": "هذه الكلمات الأربع عشرة، التي هي مستمدة بوضوح من العبرية المتأخرة، أو العبرية التي عبرت من اليهودية إلى الإسلام، - أي فكرة التوجيه الإلهي، السكينة، الملكوت، الوحي، الفرقان، المساني، ا إلى غيرها التي ستقدّم على أنها خاصة باليهودية".[6]

وفي المقطع الثاني من الفصل الأول، وتحت عنوان (آراء مستعارة من اليهودية)، يُقسّم "غايغر" هذه الآراء إلى ثلاثة

1- الآراء العقائدية، وتشمل أربعة عناوين كبيرة: 1- الخلق. 2- القصاص بما في ذلك الدينونة الأخيرة والقيامة. 3 العناوين الكبيرة الأربعة، توجد تفاصيل يمكن النظر إلى تبنيها [من قبل النبي محمد، وبالحقّ يشرحها غايغر ويسهب

من اليهودية على أنه مثبت بما فيه الكفاية"[7]

2- القواعد الأخلاقية والتشريعية. فمن "المعروف أن اليهودية غنية جداً بالوصايا الفردية، وقد استعار محمد منه
و"بعض الأحكام المتعلقة بالنساء في اليهودية"[10]

3- آراء الحياة، وهي مجموعة من الأقوال المتشظية المنتشرة هنا وهناك، منها: "الموت مع الصالحين"، فالآية الق
"لتمت نفسي مع المستقيمين"[11]. ومنها أيضاً: "لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا"[12]...الخ

أما الفصل الثاني، فقد تتبّع المؤلف في الجزء الأول منه [من الصفحة 149 إلى الصفحة 227] القصص الفردية المس
من آدم إلى نوح وما بينهما، ثم من نوح إلى إبراهيم وما بينهما، ثم من إبراهيم إلى موسى وما بينهما. ثم تح
الصفحة 270] عن موسى وزمنه. وفي الجزء الثالث [من الصفحة 271 إلى الصفحة 283] تحدّث عن الملوك الثلاثة
الرابع [من الصفحة 283 إلى الصفحة 300] فقد عنونه بـ: القديسون بعد سليمان.

وعن هذا الفصل يكتب "غايغر" في بدايته: "سوف يثبت هذا القسم أنه الأكبر، جزئياً، لن هذه الروايات، المكسوة بثو
الشعب؛ وجزئياً، لأن هذا الشكل الخرافي جذب الهوى الشعري عند محمد، ويتناسب مع المستوى الطفولي لمعاصريه"

أما عن كتابه بالمجمل، فيكتب: "الآن جمعت كل الإيماءات التاريخية معاً، وعندما ندرسها نرى فيها بشكل غير مشك
البداية -أي أن محمداً استعار كماً كبيراً من اليهودية، أنه تعلّم ذلك الذي سمعه من التقاليد الشفوية، وأنه كان يغيّر

ثم يضيف "غايغر" ملحقاً دالاً عنونه بـ (عبارات في القرآن معادية لليهودية)، لكي يُكمل حلقات بحثه ويصلها ببعـ
باستعارة محمد في قرآنه عن النصوص اليهودية، أياً كانت الصيغة -قبولاً/ معارضة/ دمجاً...إلخ- التي تناول بها محم

وإذا كان لحُزمةٍ من الأسئلة أن تُطرح بإزاء هذا البحث الغايغري رغم قدمه، فهو مكتوب أواسط القرن التاسع عـ
بالضرورة أسئلة مشروعه وملحاحية:

1- هل الوحي الإسلامي فكرة خالصة بالنبي محمد، بما يمنح النص القرآني طزاجته الإلهية كما هو مفترض في المد

2- وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعتبر الوحي الإسلامي مكملاً للوحي الذي جاء إلى النبي عيسي ومن قبله النبي م
الإلهي الذي نزل على النبي محمد، لكن تجسداته في الإسلام غير تجسداته في اليهودية؛ أي أن الأصل واحد، لكن بـ
من أصلها، إذ لا ضير أن يقتبس النبي محمد عن اليهودية، فالاقتباس ليس اقتباساً تناصياً بالمعنى المُتداول، بل اقتبا
نصوص يهودية عيانية، بل جاءته الاقتباسات من الله مباشرة، عبر الملاك جبريل؟

3- وإذا لم يكن الأمر كذلك، أعني -وهذا طرح قوي فيما يتعلق بأطروحة غايغر، لا سيما أنه لم يأت على ذكر أي ما
محمد من اليهودية المسلم أمام محارجة ثيولوجية، لناحية التعقيب سلباً على إيمانه بالمصدرية الإلهية للديانات
مؤسسيها فكرة التثاقف والتناصات، حتى في الشأن اللاهوتي؟

4- أم إن الأمر كله لا يعني المسلم، فمسألة مصدرية النصوص اليهودية والإسلامية وحتى المسيحية، محسومة
استبطن لمزاً- يؤكد هذه المصدرية، وما فعله القرآن أنه أكّد هذه المصدرية، وكل ما فعله أنه شذّب أو عدّل أو أضا
أبان عنه النص القرآني في متنه، بما جعل منه -أي من القرآن- نصاً مُهيناً على غيره من النصوص؟

مثل هذه الأسئلة وغيرها، ما زالت حاضرة في عموم العالم الإسلامي، نظراً لطزاجة الموضوع -أعني موضوع الوحد
تحديداً الكتابية- الذي تناقشه، وحضوره الطاغي في قلوب المسلمين وعقولهم، سواء بسواء.

[1] أبراهام غايغر، اليهودية والإسلام، ترجمة نبيل فياض، دار الرافدين، بغداد، بيروت، ط1، 2018

[2] المرجع السابق، ص 45

[3] السابق، ص ص 45- 46

[4] السابق، ص ص 90- 91

[5] السابق، ص ص 93- 94

[6] السابق، ص 108

[7] السابق، ص 135

[8] السابق، ص 136

[9] السابق، ص 136

[10] السابق، ص 139

[11] السابق، ص 141

[12] السابق، ص 141

[13] السابق، ص 147

[14] السابق، ص 300